## +قداس رأس السنة

صباح الأحد ١ كانون الثاني ٢٠٠٠ وبمناسبة ذكرى ختانة السيد وعيد القديس باسيليوس ورأس السنة ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية بحضور حشد من المؤمنين. بعد الإنجيل ألقى سيادته العظة التالية :

" يا أحبة ، الإله المتجسّد التي احتفلنا بذكرى ولادته منذ ثمانية أيام هو إلهنا. هذا الطفل أظهر أعماق الوداعة والتواضع في ولادته ونحن به نفتخر حسب ما جاء في الكتاب: من افتخر فليّفتخِر بالرب" (١ كور ١: ٣١). الرب فخرنا وعزّتنا ورجاؤنا وحياتنا.

يسوع الذي رآه الناس طفلاً أظهر قدرته الإلهية عندما ذهب الى الهيكل مع أمه مريم وخطيبها يوسف، وقد بقي في الهيكل يسمع كلام الشيوخ والمعلّمين ويجادلهم. منذ سنّة المبكرة كان يدرك سر الله وأعماقه وهذا ليس بالأمر الغريب لأنه هو الإله المتجسد. كان ينمو في الحكمة والنعمة كإنسان لكنه إله حق. عندما سألته أمه لماذا فعلتَ بنا هكذا أجابها "ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون مع أبي في كل حين ؟

ولادة يسوع الإله جعلت من كل إنسان مسيحاً، إلهاً، أعادت الإنسان الذي كان ممجداً في الفردوس الى سابق مجده. علاقة الإنسان بالإله المتجسد هي إذاً علاقة كيانية حياتية، علاقة وجودية لا علاقة فكرية. بإمكانك أن تتكلّم عن المسيح أياماً وان تكتب عنه كتباً عديدة دون أن تحيا المسيح. المسيح ليس فكراً أو فكرة ولا هو نظرية أو أيديولوجية. المسيح إله أعطى الحياة للناس وكل من آمن به يستعيد هذه الحياة لأن الله لا يقهر أحداً ولا يجبر أحداً على الإيمان به، وهذا من طبيعة الإنسان الذي ولد في الحرية كما شاء ربه. علاقتنا إذاً بالله المتجسّد هي علاقة إيمان وثقة، علاقة صدق وأمانة. نحن، المؤمنين به، صرنا من خاصته. نحن نخصّ الله: " أنا أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني " (يو ١٠:١٤). المؤمن من عائلة الله، وهو ينمو ويتدرّب لكي يعي مجد الله في سرّه.

يسوع ، الإله المتجسد، لا يريد من الإنسان إلا أن يدركه بالمحبة لأن الإنسان ينوجد بالمحبة وكلامي ليس رموزاً أو صوراً ورسوماً. أنا أعني فعلاً أن من يحب الآخر يوجده. عندما أتى الله منشلحاً في أحضان الإنسان، مرمياً في مغارة بعيدة، بين الحيوانات تدفئه، لم يكن قربه إنسان سوى أم تفيض حباً وحارس كأب يحتمل المسؤولية الكبرى لأنه سمع الله يكلّمه بملاكه، وبضعف الإنسان اعتبر ان على كلٍّ منا أن يطيع الله طاعة كلية إذا كان من أبناء الله والمؤمنين به.

نحن نعيِّد اليوم لإله لا يساوم، لإنسان يريد كل إنسان مثله. جاء قدوة، مثـــالاً للبشـــر ليتألهّوا. هذا الإله الإنسان قال لأمه ولأبيه الأرضي، لحارسه : يجب أن أكون في ما لأبـــــي (وأنت أيضاً يجب أن تكون لأبيك، السماوي). عندما طلبت منه أمه أن يفعل شيئاً لأن الخمـــر نضب في عرس قانا، قال يسوع لأمه "ما لي ولك يا أمرأة. لم تأتِ ساعتي بعد" (يو٢:٤). هذه صورة كل إنسان ذي مواهب. المواهب أُعطيت لنا لخدمة الإنسان لا لنفتخر بها ونتكبّر. قـــال يسوع لأمه " لم تأتِ ساعتي بعد" (يو ٢:٤) " ينبغي أن أكون في ما لأبي" (لوقا ٢:٤٩)أي في ما يخصّ الله لا الإنسان. ساعتي مرتبطة بأمر الله وعملي مرتبط بما أسمع منه في ضمـيري. لذا قال الرب " من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب أبناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني" (متى ١٠:٣٧) أي من أحبّ نفسه أكثر مني يخسرها. عندما نحبّ الله يصبح كـــل شيء موجوداً لأن الله مصدر كل شيء. ولا تجرَّب بالظن أن ما تفعله هو منك. لقد شـــاء الله أن تفعله بقدرته التي منحك إياها. فلا يفتخرنَّ أحد بشيء لأن كل شيء نعمة من الله وهبة، بل لنشكر الله على كل شيء لأن لا فضل لنا. من لم ينكر أباه وأمه وزوجته وأولاده وحتى نفسـه لا يتسحق الله لأن من أحب خارج الله، محبته أنانية، وعندما يصبح في المحبة التي تضحّـــي نفسها من أجل الغير فهو في المحبة الحقة. مّن يتردّد في محبة إنسان او في مساعدته ودعمـه عندما يحتاج الى الدعم فهو ليس مسيحيًّا. هذا ما يلفت نظرنا اليه بولس الرسول في الرســـالة التي سمعناها: " أنظروا أن لا يكون أحدُ يسبيكم بالفلسفة بغرور باطل حسب تقليـــد النـــاس، حسب أركان العالم (أي العناصر الأربعة ، الماء والهواء والتراب والنـــار) وليـس حســب المسيح. فإنه فيه يحلّ كل ملء اللاهوت جسديًا وأنتم مملؤون فيه، الذي هو رأس كل رئاســة وسلطان" (كو ٢: ٨-١٠).

نحن، المسيحيين، ركننا لأساسي هو يسوع المسيح الذي حلّ فيه ملء اللاهوت، ونحن نمتلىء به إذا كنا من المؤمنين الحقيقيين. يسوع فيكم، أنتم إذاً آلهة وقادرون على كل شـــيء بالذي خلقكم. كل ما تحتاجون إليه هو الإيمان، هو الثقة بربكم. عند ذاك أنتم قـــادرون علـــى إقامة الموتى وشفاء المرضى ونقل الجبال كما قال لنا.

كم نحن بعيدون عن هذا الإيمان العميق، وكم نحن بحاجة الى الصدق والثقـــة بـــالله. نحن نشترط على الله أن يستجيب لطلباتنا كي نؤمن به، كي نثق به. عندما سأل فيليبس يسوع " أرنا الآب وكفانا " (يو ١٤:٨) قال له يسوع: " أنا معكم زماناً هذه مدته ولـــم تعرفنـــي يـــا فيليبس " (يو ١٤:٩). نحن نقضي أوقاتاً مع الله ولا نعرفه. نحن نريد منه أن يلبّي حاجاتنـــا وإلاّ كفرنا به.

اليوم فيما نعيِّد لذكرى ختانة السيد، علينا أن نختتن بختان غير جسدي، أي أن نقطع عهداً لله – كما في القديم – بأن ننزع عنا كل سوء ودنس ورجس ونلبس المسيح، متَّشحين بالمحبة.

الله ينظر إلى الإنسان كما هو ويسأله أن يلحق به. لا ينظر الى علمه أو ماله أو انتمائه أو جنسه أو دينه بل ينظر الى القلوب العطشى إليه. " أين الحكيم، أين الكاتب، أين مباحِث هذا الدهر ؟ الم يجهّل الله حكمة هذا العالم ؟ لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة " (١ كور١: ٢٠-٢١). لقد اختار الله جهّال العالم ليُخزي الحكماء، اختار أدنياء العالم والمزدرى بهم والضعفاء ليُخجل المقتدرين والأقوياء، اختار من كان في العالم وضيعاً وضعيفاً ومحتَقَراً وعديم الشأن ليزيل من له شأن " لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه " (١ كور ١:٢٩). يسوع الذي نعبده اختار الصيادين الأمّيين ليبشروا به. عندما خاطب بطرس ويوحنا الشعب في أورشليم، بعد العنصرة، "ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميّان تعجّبوا " (أعمال ١٣:٤). التلاميذ الأمّيون غزوا العالم بإيمانهم لا يعلمهم. ليس المقصود من هذا الكلام أن لا نتعلّم بل المقصود أن نسخّر علمنا وعقلنا للخير، للبناء، للتربية، لرفع مقام الإنسان. علم العالم اليوم وتكنولوجيا العالم في المفاتيح التي سلّمها أمس يلتسين لبوتين. علم العالم في القنبلة الذرية والأسلحة النووية التي ، إذا حصل فيها عطل ما كالذي كان العالم يخشاه في مرورنا أمس من العام ١٩٩٩ الى العام ٢٠٠٠، دُمِّر العالم.

الأمر الأساسي الذي أريد التشديد عليه هو أننا لا نساوم في ما يخصّ الله.الله يأتي أولاً بالنسبة لنا وكل شيء أو إنسان، مهما عظم شأنه، يأتي في المقام الثاني. الله هو صاحب الرأي والشأن بالنسبة لنا ولا نساوم على هذا الأمر، معلنين بلسان بطرس ويوحنا اللذين أطلبهما اليهود شرط أن لا ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع: " إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا " (أعمال ١٩:٤). هذا ما يجب أن يقوله كل مسيحي وهذا ما أقوله لكل من يتضجّر من كلامي. من تزعجه ملاحظاتي أقول له: الله بالنسبة لي أهم منك، ولو كنت تسلك بحسب ما يرضي الله لما قلت لك ما لا يرضيك، فإذا كان الحكام يتصرّفون بوحي نور الله فهم حكامي وإلاّ أتكلم أنا بما يملي عليّ انجيله وأدين أعمالهم واقوالهم بكلمته مردّداً قول بطرس ويوحنا أحق أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله؟

الرسل لم يأبهوا لتهديد اليهود بل راحوا يعلّمون الشعب ويبشّرون بيسوع، وجرت على أيديهم آيات وعجائب كثيرة فأوقفهم رئيس الكهنة وسألهم :" أما أوصيناكم وصية أن لا تعلّموا بهذا الاسم، وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان؟ فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس. إله آبائنا أقام

يسوع الذي أنتم قتلتموه " (أعمال ٥: ٢٨-٣٠). كم من الناس يقتلون يسوع كي لا يروا خطاياهم !

الجبان في ما يخصّ الله إنسان يعيش ولا يحيا. الإنسان الذي يقارن بين كلام الناس وكلام الله ويتأنّى قبل أن يختار إنسان منافق،مساوم، يفتّش عن مصلحته. نحن نعلن ما أعلنه بطرس والرسل " إلهنا إله حق وينبغي أن يُطاع أكثر من الناس. إذهبوا وبشِّروا باسمه لكي يتبارك بلدنا والعلم. احملوا يسوع معكم ولا تخجلوا به. معظم الناس يخجلون بالله أو لا يؤمنون به. نحن إن افتخرنا فبربّنا يسوع المسيح الذي أحبنا حبًّا حتى الموت، موت الصليب . آمين".